سلسلة الرسائل الجامعية

(١)

اختيارات ابن تيمية في التفسير ومنهجه في الترجيح

تأليف

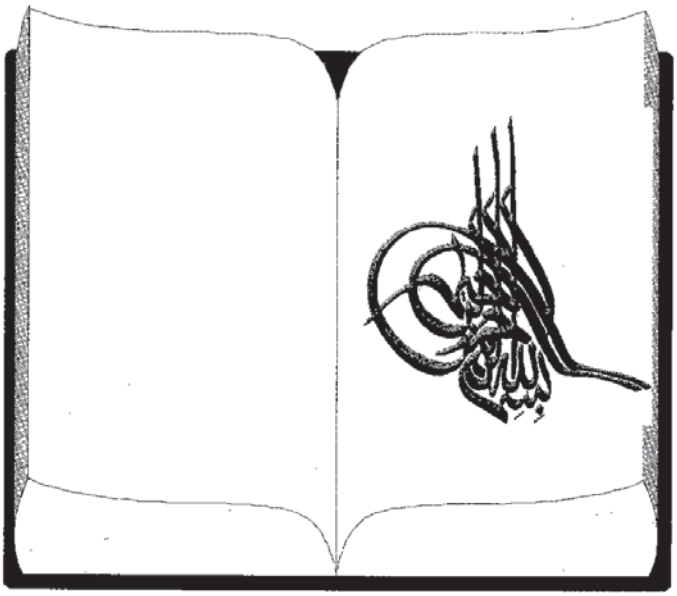
د. محمد بن زيلعي هندي

الأستاذ المشارك بجامعة الطائف

المجلد الثاني

الاختيارات

مكتبة الرشد



اختيارات ابن تيمية
في تفسير
سور الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء

سلسلة الرسائل الجامعية

(١)

اختيارات ابن تيمية في التفسير ومنهجه في الترجيح

تأليف

د. محمد بن زيلعي هندي

الأستاذ المساعد بجامعة الطائف

المجلد الثاني

الاختيارات

مكتبة المزيني

التمهيد : معنى الاختيار والترجيح ومتى يكونان

تعريف الاختيار

الاختيار واحد الاختيارات ، وهو في اللغة مصدر اختار بمعنى : الاصطفاء الانتقاء[١] المبني على المفاضلة ، واختاره على غيره فضله عليه ، فهو إذا عدي بعلى كان في معنى التفضيل[٢] ،وهو بهذا بمعنى الترجيح ، ولذا كان من تعاريفه عند الفقهاء : ترجيح تصرف على غيره .[٣] ، كما عُرِّف بأنه : (ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره).[٤]

وكذلك الاختيار في لغة القرآن . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والاختيار في لغة القرآن يراد به التفضيل والانتقاء والاصطفاء كما قال : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[٥] ...)[٦] .

وأما الترجيح بمجرد الاختيار دون ترجح شيء عند العالم فمردود .

قال شيخ الإسلام : (وأما الترجيح بمجرد الاختيار بحيث إذا تكافأت عنده الأدلة يرجح بمجرد إرادته واختياره فهذا ليس قول أحد من أئمة الإسلام ، وإنما هو قول طائفة من أهل الكلام ... فالترجيح بمجرد الإرادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد من أئمة العلم والزهد)[٧] .

والاختيارات في هذا البحث هي بهذا المعنى للاختيار الذي هو الترجيح .

ويتكرر مصطلح الترجيح كثيراً في هذا السياق بصيغه المختلفة .

(١) انظر : الصحاح للجوهري (٢/ ٦٥٢)، واللسان لابن منظور (٢/ ٩٢٧) _خير_ .
(٢) انظر : اللسان لابن منظور (٢/ ٩٢٧) ، المعجم الوسيط لأنيس وآخرين (١/ ٢٦٤) _خير_.
(٣) انظر : معجم لغة الفقهاء لقلعجي وقنيبي (٥٠) .
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ١١٩).
(٥) سورة طه الآيات (١١_١٣).
(٦) جامع الرسائل(١/ ١٣٧) .
(٧) الفتاوى،ط.ابن قاسم(١٠/ ٤٧٢)، وط.العبيكان(١٠/ ٢٦٩) .

تعريف الترجيح

والترجيح في اللغة : مصدر رجّح بالتضعيف بمعنى : (جعل الشيء راجحاً فاضلاً غالباً زائداً)[١]، ورجَّح الشيء : أرجَحَه وقواه وفضله على غيره .[٢] من (رجح الميزان يرجَحُ ويرجُحُ ويرجِحُ رجحاناً إذا مال).[٣] (وأرْجَحَ الميزانَ أثقلهُ حتى مال).[٤]

وقد عُرِّف الترجيح في الاصطلاح بتعاريف كثيرة .[٥]

منها أنه : (تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل)[٦] .

والترجيح في هذا البحث : تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل يدل على قوته أو على ضعف ما سواه .

وللترجيح أهمية عظيمة ، لأن الله ﷻ ، ذم العمل بالظن ، وأمر بالعلم ، والمسائل الخفية في العلم ، لا يمكن العلم بها إلا بالترجيح .

قال شيخ الإسلام : (كل ما أمر الله تعالى به فإنما أمر بالعلم ، وذلك أنه في بعض المسائل الخفية عليه[٧] أن ينظر في الأدلة ويعمل بالراجح ، وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عند أمر مقطوع به[٨] ، وإن قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به . وإن ظن الرجحان أيضاً ، فلابد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر ، ورجحان هذا غير معلوم ، فلابد أن ينتهي الأمر إلى

(١) كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٤١٥).
(٢) انظر : المعجم الوسيط (١/ ٣٢٩)، الرائد(١/ ٧١٩) مادة ((رجح))
(٣) انظر : الصحاح للجوهري(١/ ٣٦٤) مادة ((رجح)) .
(٤) انظر : لسان العرب (١/ ١١٢٥) مادة ((رجح)) .
(٥) انظر : مثلاً : المحصول للرازي (٥/ ٣٩٧)نهاية السول(٤/ ٤٤٤)،التعريفات للجرجاني(٨٤)، إرشاد الفحول (١/ ٣٧١). وغيرها .
(٦) شرح الكوكب المنير لابن النجار (٤/ ٦١٦) .
(٧) الكلام عن المجتهد كما سيأتي .
(٨) كذا في الكتاب بطبعتيه ، ولم أجد له وجهاً ، فلعل الصواب : وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عنده مقطوع به) .

رجحان معلوم عنده ، فيكون متبعاً لما علم أنه أرجح ، وهذا اتباع للعلم لا للظن ، وهو اتباع الأحسن ، كما قال تعالى : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾[١] وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[٢] وقال : ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾[٣] ، فإذا كان أحد الدليلين هو الأرجح فاتباعه هو الأحسن ، وهذا معلوم .

فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم أنه أرجح من غيره ، وهو العمل بأرجح الدليلين المتعارضين ، وحينئذ فما عمل إلا بالعلم)[٤] .

والاختيار والترجيح إنما يكونان عند وجود الاختلاف.

والاختلاف في التفسير نوعان : اختلاف تنوع ، واختلاف تضاد .

واختلاف التنوع هو ما ليس فيه تضاد ولا تناقض ، بل يمكن أن يكون كل من القولين حقاً .

وهو على وجوه :

أحدها : أن يكون اللفظ المفسَّر ذا صفات متعددة ، فيكون اختلاف المفسرين اختلافاً في الصفات والعبارات ، بأن يعبر كل منهم عن اللفظ المفسَّر ببعض صفاته.

والثاني : أن يكون كل من القولين في معنى الآخر ؛ لكن العبارتين مختلفتان بأن يعبروا عن المعنى بألفاظ متقاربة .

والثالث : أن يكون اللفظ المفسَّر عاماً ، فَيَذْكرَ كل منهم بعض أنواعه على سبيل التمثيل.

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٤٥) .
(٢) سورة الزمر الآية (١٨) .
(٣) سورة الزمر الآية (٥٥) .
(٤) الفتاوى ، ط . ابن قاسم (١٣/ ١١٤_١١٥) ، وط . العبيكان (١٣/ ٦٣_٦٤) .

والرابع : أن يكون اللفظ محتملاً لأكثر من معنى ، فيذكر كل منهم واحداً من تلك المعاني.

وفي هذا الوجه قد يجوز أن يراد جميع المعاني التي قيلت في الآية ، وقد لا يجوز.

وعامة اختلاف سلف الأمة _من صحابة وتابعين_ في تفسير كتاب الله _تعالى_ داخل تحت هذه الأوجه ؛كما حقق ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وضرب له الأمثلة المتعددة.(١)

وأما اختلاف التضاد فهو القولان المتنافيان .(٢)

والأنواع التي هي موضوع هذا البحث هي النوع الثاني من الاختلاف وهو اختلاف التضاد ، والنوع الأخير من اختلاف التنوع ؛ إذ هما اللذان لا يمكن العمل فيهما بجميع الأقوال مطلقاً .

كما أضفت النوع الثالث من اختلاف التنوع ؛ لأن جعل اللفظ العام منحصراً في شخص واحد مسلك سلكه فرق المبتدعة في تفسير كلام الله_ تعالى_ ، وقاربهم من بعض الوجوه كثير من المفسرين ، وقد يستدلون له بما يظن أنه منه _من تفسير السلف _ وليس منه ، فكان لا بد من بيان منهج شيخ الإسلام في اختياراته في هذه النوع ، لتأكيد المنهج الحق ، والنأي عن الباطل .

قال شيخ الإسلام _ بعد أن بيّن الجهات التي نشأ منها الخطأ في التفسير ، والفِرَق التي ابتدعت تلك الطرق ،وضرب الأمثلة ببعضها ؛كالجهمية(٣) والمعتزلة_:

(١) انظر : الفتاوى،ط.ابن قاسم(١٣/ ٣٣٣_٣٤٤)، وط.العبيكان(١٣/ ١٧٨_١٨٤)

(٢) انظر في أنواع الخلاف هذه : اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٣_١٣٤)، الفتاوى،ط.ابن قاسم (١٣/ ٣٨١_٣٨٤، ١٩/ ١٣٨_١٤١)، وط.العبيكان(١٣/ ٢٠٥_٢٠٧، ١٩/ ٧٦_٧٩) ، درء تعارض العقل والنقل(٨/ ٣) ، نقض التأسيس المطبوع (١/ ٢٩_٢،٣٠/ ٣٣٨) .

(٣) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سَلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية . وافقت الجهمية المعتزلة على نفي الصفات ، وزادت عليها ببدع أخرى ؛ كإنكار أسماء الله ، والقول بالجبر ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، وقد اتفقت أصناف الأمة على تكفيرهم . انظر الملل والنحل للشهرستاني(١/ ٧٣) ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص(١٩٩) .

(ثم إنه لسبب تطرف هؤلاء وضلالهم دخلت الرافضة الإمامية ، ثم الفلاسفة ، ثم القرامطة وغيرهم فيما هو أبلغ من ذلك ، وتفاقم الأمر في الفلاسفة والقرامطة والرافضة ، فإنهم فسروا القرآن بأنواع لا يقضي العالم منها عجبه ، فتفسير الرافضة كقولهم : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ (١) هما أبو بكر وعمر ، و﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾(٢) أي بين أبي بكر وعمر في الخلافة ، و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ (٣) هي عائشة(٤) و﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ (٥) طلحة والزبير ، و﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾(٦) علي وفاطمة(٧)، و﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾(٨) الحسن(٩) والحسين(١٠) ...

ومما يقارب هذا من بعض الوجوه ما يذكره كثير من المفسرين في مثل قوله : ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾(١١) أن الصابرين رسول الله ، والصادقين أبو بكر ، والقانتين عمر ، والمنفقين عثمان ، والمستغفرين علي ، وفي مثل قوله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ أبو بكر ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ عمر ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ عثمان ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ (١٢) علي .

---

(١) سورة المسد الآية (١) .
(٢) سورة الزمر الآية (٦٥) .
(٣) سورة البقرة الآية (٦٧).
(٤) أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر ، ولدت بعد المبعث بأربع سنين ،وروت عن النبي ﷺ علماً كثيراً . وتوفيت عند الأكثر سنة ٥٨هـ انظر : الطبقات الكبرى(٨/ ٥٨)، السير (٢/ ١٣٥) .
(٥) سورة التوبة الآية (١٢) .
(٦) سورة الرحمن الآية (١٩).
(٧) فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين ، مولدها قبل المبعث بقليل ، وتزوجها علي بن أبي طالب سنة٢هـ بعد وقعة بدر ، توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر أو نحوها ، فهي أول أهله لحاقاً به . انظر : السير(٢/ ١١٨).
(٨) سورة الرحمن الآية (٢٢).
(٩) الحسن بن علي بن أبي طالب ، سبط رسول الله ﷺ ، هو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة ، أبو محمد الهاشمي ، ولد سنة ٣هـ وولي بعد استشهاد أبيه ،وسلم الأمر إلى معاوية سنة ٤١هـ ،ومات سنة ٤٩هـ . انظر : السير(٣/ ٢٤٥).
(١٠) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، ولد سنة ٤هـ وقتل شهيداً سنة ٦٠هـ وعمره ٤٧سنة . انظر السير (٣/ ٢٨٠).
(١١) سورة آل عمران الآية (١٧).
(١٢) سورة الفتح الآية (٢٩).

وأعجب من ذلك قول بعضهم : ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ أبو بكر ﴿ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ عمر ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ عثمان ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ (١) علي ، وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تارة تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال ،فإن هذه الألفاظ لا تدل على هؤلاء الأشخاص،...وتتضمن تارة جعل اللفظ المطلق العام منحصرا في شخص واحد ؛ كقوله إن قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٢) أريد بها علي وحده ، وقول بعضهم إن قوله : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ (٣) أريد بها أبو بكر وحده ، وقوله :﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ (٤) أريد بها أبو بكر وحده ونحو ذلك)(٥).

وقد بحث شيخ الإسلام كثيراً من مسائل الخلاف عند المفسرين ، مما يعود إلى جميع أنواع الخلاف ، مختاراً ما يراه صواباً مرجحاً له ناصراً إياه بأوجه الترجيح المعتمدة عند علماء الأمة الأثبات .

(١) سورة التين الآيات (١_٣) .
(٢) سورة المائدة الآية (٥٥) .
(٣) سورة الزمر الآية (٣٣) .
(٤) سورة الحديد الآية (١٠) .
(٥) الفتاوى،ط.ابن قاسم(١٣/ ٣٥٩_٣٦١)، وط.العبيكان(١٣/ ١٩٢_١٩٣) .

فهرس

فهرس المحتويات

الاختيارات في سورة آل عمران

«٥٠٥ ـــ ٥٩٨»

الاختيارات في سورة النساء

«٥٩٩ ـ ٦٩٩»